

الحدور التاريخية للعلاقة الأمريكية- الإسرائيلية

2006/05/02

بعد ساعات قليلة من صدور إعلان قيام دولة إسرائيل في عام 1948 سارع الرئيس الأمريكي ترومان إلى الاعتراف بالدولة اليهودية. وبعد أيام قليلة من صدور ذلك القرار قامت الإدارة الأمريكية بتقديم قرض للدولة الصهيونية بمقدار 100 مليون دولار، بينما لم تحاول أن تقدم أي دعم مالي أو معنوي لضحايا العدوان الإسرائيلي من الفلسطينيين.

إن حماس ترومان لقيام الدولة العبرية لم يكن مصحوبا بحماس مماثل من قبل أعوانه وكبار مستشاريه السياسيين والأمنيين الذين اتجهوا ودون تحفظ إلى الاعتراض على قرار الاعتراف بالكيان الصهيوني. ولقد قال مارشال، وزير خارجية أمريكا حينئذ لرئيسه، أنه لو جرت انتخابات الرئاسة في اليوم التالي فإنه - أي مارشال - لن يصوت لترومان. وفي معرض اعتراضهم على قرار الاعتراف بإسرائيل، قال المستشارون أن من شأن ذلك القرار أن يفتح المجال لتسلل الاتحاد السوفيتي للمنطقة، وأنه يتعارض مع حق تقرير المصير بالنسبة للفلسطينيين، ومع المصالح القومية لأمريكا، وأنه سيتسبب في عدم استقرار منطقة الشرق الأوسط برمتها. كان جواب ترومان على انتقادات مستشاريه ووزرائه واضحا، إذ قال: أسف أيها السادة إن علي أن أجاوب مع رغبات مئات الآلاف من المواطنين الأمريكيين الذين ينتظرون نجاح الصهيونية، وأنه ليس لدي مئات الآلاف من الناخبين العرب.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن الرئيس الأمريكي لم يكن في البداية متحمسا لدعم الكيان اليهودي أو متعاطفا مع المخططات الصهيونية تجاه فلسطين. إلا قيام المنظمات اليهودية الأمريكية في حينه بالضغط عليه والتهديد بالوقوف ضده في الانتخابات الرئاسية التي كان موعدها قد اقترب دفعه إلى اتخاذ قراره بدعم المطامع الصهيونية والاعتراف بدولة إسرائيل. وهذا يعني أن اعتراف ترومان بإسرائيل جاء نتيجة لاعتبارات سياسية ومن منطلق المصلحة الشخصية، وأنه لم يكن نتيجة لدراسة إستراتيجية توخت تعزيز المصالح القومية للدولة الأمريكية.

وإذا كانت أقوال وأفعال الرئيس الأمريكي قد منحت الصهانية نصرا سياسيا كبيرا للغاية، فإنها أرسدت في الوقت ذاته مبدأين جديدين في السياسة الأمريكية: (1) السماح لكبار المسئولين الأمريكيين بإعطاء الأفضلية لموكلاتهم السياسية ومصالحهم الشخصية وتقديمها على المصلحة الوطنية، و (2) الاعتراف بحق الأقليات العرقية والدينية بتشكيل قوى ضغط خاصة وقيامها بالتدخل في صياغة وتوجيه سياسة أمريكا الخارجية وتسخيرها لخدمة مصالح دولة أجنبية بغض النظر عن توافق أو تعارض مصالح تلك الدولة مع المصلحة الوطنية الأمريكية. ومنذ ذلك الحين لم يعد بإمكان أي رئيس أمريكي رسم وتنفيذ سياسة خارجية لبلاده كما تملئها المصلحة الوطنية والمتطلبات الأمنية الأمريكية دون تدخل قوى الضغط الخاصة، وفي مقدمتها اللوبي الصهيوني ومع الأيام. اتسع نشاط اللوبي الصهيوني ليشمل إلى جانب المنطقة العربية، سياسة أمريكا تجاه الاتحاد السوفيتي وبعض دول أمريكا اللاتينية.

وعلى الرغم من أن اللوبي الصهيوني لم يكن قد ولد في عام 1948، إلا أن نجاح قوى الضغط اليهودية بتحقيق أهدافها من ناحية، وعدم حدوث ردود فعل شعبية أو سياسية أو إعلامية مناهضة من ناحية ثانية، أدت إلى تمهيد الطريق لميلاد اللوبي الصهيوني كإبن شرعي لأوضاع غير شرعية وغير أخلاقية. ولقد بقي الدعم الرسمي للكيان الصهيوني محصورا إلى حد كبير في التأييد السياسي في المحافل الدولية وتقديم معونات اقتصادية متواضعة حتى بداية الستينات من القرن الماضي، حيث بلغ مجموع تلك المعونات خلال العقد الأول من عمر الدولة اليهودية حوالي نصف مليار دولار فقط. إلا أن وصول الرئيس كينيدي إلى الحكم في عام 1960 وحصوله على ما نسبته 82% من أصوات يهود أمريكا غير كل الاعتبارات السابقة، حيث قام الرئيس الأمريكي، ولأول مرة، ببيع إسرائيل معدات حربية وإدخال الكيان الصهيوني كحليف إستراتيجي ضمن سياسة أمريكا الأمنية وتطلعاتها الدولية.

يحدد جون ميرشهايمر وستيفن وولت في دراستهما عن اللوبي الصهيوني ودوره في توجيه سياسة أمريكا الخارجية عدة نقاط هامة كمرتكزات لعمل اللوبي الصهيوني على الساحة الأمريكية. ويمكن تلخيص النقاط التي يستخدمها أنصار إسرائيل في دعايتهم للكيان الصهيوني وفي تبرير مطالبهم المستمرة بزيادة الدعم الأمريكي للدولة اليهودية في النقاط التالية:

1. أن إسرائيل دولة ضعيفة محاطة ببحر من الأعداء وأنها بحاجة ماسة لدعم أمريكا ووقوف الحكومة الأمريكية إلى جانبها في المحافل الدولية، وتقديم المعونات الاقتصادية العسكرية لها.

2. أن إسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط، وأنها لذلك تلتقي مع أمريكا من حيث القيم والمبادئ الإنسانية.

3. إن اليهود بشكل عام عانوا في الماضي على يد الأوروبيين، وأنهم لذلك يستحقون معاملة خاصة من الأمريكيين الذين وقفوا دوماً إلى جانب الضعيف.

4. أن سلوك إسرائيل أفضل بكثير من سلوكيات غيرها من دول المنطقة، خاصة من الناحية الأخلاقية.

5. أن إسرائيل هي الحليف الاستراتيجي الأهم لأمريكا في منطقة مضطربة غنية بالترول، وذات أهمية خاصة بالنسبة لمصالح أمريكا الحيوية وهيبتها على الساحة الدولية.

وبالرغم من الكذب والمبالغة ومحاولات تزوير الحقائق التي لم يتوقف اللوبي الصهيوني عن ممارستها، إلا أنه نجح نجاحاً باهراً في رسم صورة جميلة ونقية وأخلاقية لإسرائيل في أذهان الرأي العام الأمريكي كان من نتائجها الإسهام بفاعلية في تأييد غالبية الشعب الأمريكي لمواقف إسرائيل العنصرية وسياساتها التوسعية. كما نجح اللوبي الصهيوني في المقابل في رسم صورة متخلفة وقبيحة وغير أخلاقية للمسلمين عامة وللعرب خاصة في مخيلة الأمريكيين. وهذا بدوره جعل الدعم الأمريكي الرسمي والشعبي لإسرائيل من ناحية، والعداء للعرب والمسلمين من ناحية أخرى، يبدو أمراً طبيعياً، بل ومنطقياً أيضاً.

وفي ضوء ذلك النجاح، وعدم ظهور معارضة له، وفشل العرب في رؤية الأخطار المحدقة بهم والقيام بالدفاع عن ثقافتهم ومصالحهم، فإن المعونات الأمريكية لإسرائيل بدأت بالتزايد المستمر عاماً بعد عام، كما تغيرت طبيعة وتركيب تلك المعونات. وعلى سبيل المثال، بينما بلغ مجموع المعونات الرسمية في عقد الستينات حوالي 834 مليون دولار قدمت كلها على شكل قروض، تجاوزت المعونات في عقد السبعينات 17 مليار دولار قدم حوالي نصفها على شكل قروض والنصف الآخر على شكل منح لا ترد. وسنحاول في المقال القادم تفنيد مزاعم اللوبي الصهيوني فيما يتعلق بمبررات وجوب قيام أمريكا بدعمها في المجالات الدبلوماسية وتقديم المعونات العسكرية والاقتصادية لها.